

تجليّات الثورة الجزائرية ورمزيّتها في الأهازيج النّسوية الشعبيّة – منطقة الغرب
الجزائريّ أمّوذجاً –

*Manifestations of the Algerian revolution and its symbolism
in popular feminist songs - Western Algerian region as a
model-*

د. نعيمة العقريب / Dr. Naima lakrib

أستاذة محاضرة صنف أ، جامعة مولود معمري تيزي وزو

naima_hizia11@yahoo.fr

تاريخ النشر: 2024/01/29

تاريخ القبول: 2021/12/18

تاريخ الإرسال: 2021/01/11

ملخص: تعدّ ثورة التحرير الجزائرية حدثاً مهماً وفاصلاً في تاريخ الأمة الجزائرية المعاصر ولهذا انكبّ المبدعون على تمثّل أحداثها ورمزيّتها، مما جعلهم ينتجون ويجسّدون صوراً يعبرون من خلالها عن رؤاهم الفنية لهذه الثورة ومدلولاتها التاريخية والإنسانية والاجتماعية.. الخ.

ويسعى هذا البحث إلى إبراز مختلف تمثّلات هذه الثورة في الأهازيج الشعبية النسوية الجزائرية التي انتشرت، بشكل كبير، خلال حرب التحرير الجزائرية، وقد اخترنا بعض التماذج الشعريّة من منطقة الغرب الجزائري للدراسة والتحليل.

الكلمات المفتاحية: الثورة التحريرية؛ الأهازيج النسوية الشعبية؛ منطقة الغرب الجزائري؛ التمثّلات.

Abstract: The Algerian liberation revolution is an important and watershed event in the contemporary history of the Algerian nation, and it was a source of inspiration, as the creators and artists embarked on the representation of its events and symbolism, which made them produce and embody images through which they express their artistic visions of this revolution and its historical, human, and social connotations ... etc.

This research seeks to highlight the various representations of this revolution in the Algerian feminist folk songs that spread widely during the liberation war, and we chose some poetic models from the Algerian western region for study and analysis

Key- words : the liberation revolution ; popular feminist songs Western Algerian region; representations.

1. مقدمة:

شكلت ثورة التحرير الجزائرية المباركة حدثاً حاسماً ومهماً في تاريخ الأمة الجزائرية فكانت مصدراً للإلهام لدى المبدعين والفنانين، حيث اشتغلت في مخيلتهم وتصوراتهم أحداثها ورمزيتها، مما جعلهم ينتجون ويتمثلون صوراً يعبرون من خلالها عن رؤاهم الفنية لهذه الثورة، ومختلف مدلولاتها الاجتماعية والسياسية والثقافية والنفسية.... الخ. وقد واكب الأدب الشعبي الجزائري « الأحداث التاريخية والهزات الاجتماعية بواسطة الجماهير الشعبية المساهمة بفعالية وجدية في صنع أول نوفمبر 1954 وخلق ساعة الصفر، التي تعد المرحلة الفاصلة.... في طريق العز والكرامة والتحرر »¹

وبدورهن النساء الجزائريات - رغم العراقيل الاجتماعية والظروف الصعبة - أنتجن أعمالاً إبداعية رصدن من خلالها تصوراتهن حول هذه الثورة، بكل تفاصيلها ورموزها وأبعادها، ولعل من بين أبرز هذه الإبداعات نذكر الأهازيج النسوية الشعبية التي يتغنين بها النسوة في مختلف تجمعاتهن، أو يرددنها أثناء ممارساتهن لنشاطاتهن اليومية في المنزل أو خارجه.

فيا ترى كيف تمثلت هذه الأهازيج النسوية الشعبية الثورة التحريرية الجزائرية؟ وكيف صوّرت واستحضرت وقائعها وظروفها وأجواءها وأبطالها؟ وكيف تفاعلت النسوة المبدعات مع هذه الثورة بكل تفاصيلها وتطوراتها؟

لقد قدّر للخطاب الأدبي الشعبي أن يكون وسيلة لإدراك العالم ونقل المعرفة وتصوير الواقع النفسي والاجتماعي الذي عاشه الشعب الجزائري في الثورة التحريرية المباركة، خاصة في ظل سياسة التجهيل والأمية التي مارسها المستعمر، ومن جهة أخرى نلاحظ دائماً بأنّ هناك ارتباط وثيق بين الفن والثورة، فقد يسبق الفن الثورة من خلال



التمهيد لها والتحريض عليها، وقد تسبق الثورة الفن فتمده من حوادثها وقيمها، وقد يحدث الالتحام والمواكبة بين الفن والثورة، ولكن الفن يبقى وسيلة هامة من وسائل الثورة «إذ لا فرق بين فاعلية الرصاصة وفاعلية الكلمة».²

وتمثل الأهازيج النسوية جزءاً مهماً من التراث الفني الشفاهي الجزائري الذي اتخذته المرأة سبيلاً للتعبير عما يختلج في صدرها وعقلها، فكان بمثابة الصرخة العالية التي تدعو إلى تفهمها والاستماع الواعي إلى آمالها وآلامها، لاسيما وأنها تعيش في مجتمع رجالي محافظ لا يعترف بالمرأة المبدعة، لذا فإننا نجد أن الكثير من الأهازيج النسوية مجهولة المؤلف على عكس بعض الشعر الشفاهي الرجالي الذي يتم تداوله على نطاق واسع في الساحات والأسواق العامة ومختلف التجمعات الرجالية، وتعتمد هذه الأهازيج النسوية - في تداولها وانتشارها - على الغناء والشفاهية بالدرجة الأولى حيث تمثل المرأة عنصراً مهماً في استمرار جزء كبير من هذا التراث الشعري الشعبي وتداوله بين الأجيال المتعاقبة، فصانت بذلك نصيباً مهماً منه من الضياع والاندثار.

وقد تنوّعت مواضيع هذه الأهازيج النسوية ما بين الموضوعات الوطنية والاجتماعية والعاطفية... الخ، غير أنها تميزت كلها بالعاطفة الجياشة والعفوية الكبيرة، وكثيراً ما كان يتم ترديد هذه الأناشيد المتنوعة من طرف النساء أثناء قيامهن بالأشغال المختلفة داخل البيت أو خارجه أو حتى في مختلف المناسبات. ونحن بحاجة ماسة إلى التقرب أكثر من هذا الإنتاج النسوي الشعبي لأجل قراءته بشكل أفضل، لأنه قبل أن يكون تركيباً لغوياً فنياً، هو تعبير وبوح عن الآلام والآمال التي تعتمل في نفوس النساء الجزائريات.

لن نتطرق في هذا البحث إلى الجانب الجمالي والتقني للأهازيج النسوية، بل سنركز على حضور الثورة التحريرية فيها والصدى الذي تركته في هذه الأهازيج على مستوى الموضوعات أو العاطفة والانفعالات النفسية باعتبارها ملمحا مهما من ملامح الأدب النسائي الشعبي، حيث تفرض المرأة انفعالاتها على العالم حولها بشكل مباشر أو بصورة رمزية.

2. ماهية الأهازيج الشعبية النسوية :

إنّ لفظة الأهازيج مشتقة من الفعل: هزج، يهزج، هزجًا، وأهزج يهزج وجمعه أهازيج وأهزوجات، وفي المعجم نجد: «أهزج: أتى بالهزج في شعره، أي نظم على بحر الهزج ووزنه: مفاعيلن مفاعيلن مرتين... والأهازيج هي ما يترنم به من الأغاني»³. ونجد أيضا: «هزج: أنشد شعرا منظوما على بحر الهزج»⁴.

إذن فالأهازيج النسوية هي أغاني ذات أوزان خفيفة تتداولها النسوة غناء أثناء ممارستهنّ لأشغالهنّ المنزلية أو في الحقل أو عند هدهدة الأطفال... الخ، وتكون هذه الأشعار - في أغلب الأحيان - من نظمهنّ وأحيانا أخرى هي مجهولة المؤلف، ونجد من ضمن موضوعات الأهازيج المختلفة ما يرتبط بالثورة التحريرية الجزائرية والتي لا تزال بعض النسوة يتذكرنها ويترنمن بها في تجمعاتهن المختلفة باعتبارها حدثا عظيما ظل راسخا في الذاكرة الشعبية الشفاهية الجزائرية تتداوله الأجيال عن طريق الرواية الشفاهية والغناء، وتتأثر كثيرا لسماعه فقد سجل الأدب الشعبي - بمختلف أشكاله تاريخ هذا الشعب ونضالاته ضد الظلم والاستعمار وكان دائما داعما ومحرضا على الثورة ضد كل أشكال العبودية والاستغلال.⁵



حضرت التّصوص الثّورية في الأدب الشعبي الجزائري وواكبت مختلف المراحل التي مرت بها مقاومة الجزائريين - رجالا نساء- للاحتلال الفرنسي الغاشم في كل القطر الجزائري حيث صوّر المعارك وصمود المجاهدين واستبسالهم كما أبرزت الوسائل البشعة اللاإنسانية التي استعملها المستعمر ضد الشعب الأعزل.⁶

وشاركت المرأة الجزائرية- إلى جانب أخيها الرجل- في حرب التحرير الوطنية ضد الاستعمار الفرنسي فخاضت إحدى أقسى وأعظم الثورات التحريرية في القرن العشرين، فمثّلت بذلك سندا أخلاقيا مهما للأزواج والأبناء المقاتلين، ولقد عانت من الحرب في عاطفتها لأبنائها وزوجها وأبيها، فكانت بذلك الزوجة والأم والأخت والابنة التي تفيض مشاعرها وعواطفها، وحاولت أن تعمل على تمثيل وتجسيد هذه العواطف من خلال مجموعة من الصور والمظاهر الثقافية والمواقف النسوية الجماعية، فلجأت في ظل هذا الوضع السائد إلى أشكال من التعبير الأدبي الشعبي الشفوي باعتبارها وسيلة تتيح لها التعبير والبوح عن واقعها وآلامها وآمالها .

ولعل الأهازيج النسوية من بين أهم هذه الأشكال الشعبية التي كانت تستعملها النساء الجزائريات أثناء الثورة تنفيسا عن مكبوتاتهن ومشاعرهن ودعما للثوار والتغني ببطولاتهم، فقدّر لهذا الخطاب الأدبي الشفوي أن يكون وسيلة تملكها الجماعة الشعبية من أجل «إدراك العالم ونقل المعرفة وتوجيه السلوك، وقد استطاع أن يقوم بهذا الدور عن طريق نظام من التجسيديات ذات الطابع الرمزي المستمدة من التراث الجماعي، والمعبرة في نفس الوقت عن الواقع النفسي والاجتماعي».⁷

ورغم أننا لا نجد - من حيث الكم - إنتاجا شعريا شعبيا كثيرا للمرأة الجزائرية مقارنة بالإنتاج الرجالي، بسبب الظروف الاجتماعية والطبيعة المحافظة للمجتمع الجزائري التي حالت دون ذلك إلا أنّ النساء استطعن فرض أنفسهن عن طريق هذه الأهازيج النسوية الجماعية، التي كانت في البداية إبداعا فرديا، إلا أنها بفعل التداول والتناقل وإعادة الإنتاج من الرواة أصبحت نتاجا جماعيا، وانبعثت في الثورة التحريرية استجابة لحاجات جمعية وللشروط السياسية والاجتماعية التي مر بها المجتمع الجزائري في ظل الحكم الاستعماري الغاشم، حيث نلاحظ تصويرا لمعاناة الجزائريين، فالأهازيج النسوية كخطاب أدبي شفوي جزائري «تحوّل في كثير من الحالات إلى خطاب تاريخي ولا نقصد هنا دلالة التاريخية في ارتباطه بالسياق التاريخي فقط، وإنما نقصد أداءه لوظيفة الخطاب التاريخي إلى الأجيال اللاحقة»⁸.

انتقلت الأهازيج النسوية مشافهة بين الأجيال فكانت تعتمد على الحفظ الذهني والارتجال وسرعة البديهة دون الاعتماد على الكتابة والتدوين فأنت معبرة عن لاشعور جمعي مشترك، كما صورت الصراع المرير مع المحتل الغاشم من خلال الحديث عن المعارك والشهداء والوضع النفسي الصعب الذي عاشته المرأة الجزائرية، فأسهمت بذلك في إذكاء الروح الوطنية بين الأفراد، بل وبقيت وظائفها ممتدة عبر الزمان والمكان حيث تصبح إسقاطا تاريخيا على الواقع المعيش لتقدم لنا «رؤية متكاملة تستمد عناصرها من التراث الأدبي والثقافي الجماعي، تتجسد هذه الرؤية من خلال نظام من الرموز، يتم نقله للمتلقين بغرض بث وتأکید مجموعة من القيم التي تندرج في نطاق الإيديولوجيا الوطنية»⁹.



سنأخذ بعض النماذج من الأهازيج الثورية التي انتشرت وبقيت بعض مقطوعاتها متداولة في مناطق من الغرب الجزائري وبالأخص في تلمسان وضواحيها لتتطرق إلى استحضار الثورة التحريرية - بكل أبعادها - في هذه الإنتاجات النسوية، فلو نظرنا إلى طبيعة أشعار هذه الأهازيج للاحظنا جملة من السمات منها مثلاً بروز لفظة الجهاد ومشتقاتها، حيث أصبحت من المفردات الأساسية التي وظفتها لأنها تحمل تأثيراً فعالاً في النفوس حيث يسيطر الفكر الديني والإيمان بالجهاد باعتباره فعلاً مقدساً ومفتاحاً للجنة والخلود في دار الآخرة انطلاقاً من النص القرآني ﴿ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً، بل أحياء عند ربهم يرزقون﴾ (سورة آل عمران / الآية 169) ولذلك نجد أن صورة المجاهد تتمثل فيها كل معاني البطولة والشجاعة والتضحية وكل القيم النبيلة المرتبطة بالجماعة، فالبطل هو شخصية إيجابية تضحى بنفسها من أجل مبادئها وقضاياها لأنها «تعيش القضايا وتؤمن بها حتى النخاع وتضحى بحياتها من أجل هذه القضايا رغم تعقد الواقع وضبابيته»¹⁰ وهذا ما يتجسد في هذه الآيات:

الله يعاونكم يا المجاهدين العقبّة طويلة والسلاح ثقيل

الجهاد حلال يا رسول الله مات لوليد وزاد أباه

بيع لوزيك وضيّف المجاهدين ياهبالي أنا واطلع الرايس للجبال

أنا في عارك لآلة وجدة نخلي وخلي المجاهدين يوليو¹¹

فقد سيطر الفكر الديني في هذه الأشعار باعتباره هو الفكر المؤطر لفعل الشهادة وهو مفتاح الجنة والخلود، كما يتم تقدير المجاهدين والدعوة إلى إكرامهم ببذل الغالي والنفيس (بيع لوزيك) فهذا (اللويز) لايساوي شيئاً أمام قيمة المجاهدين وعلو قدرهم، ويتم

في بيت آخر من هذه الأزوجة الحثّ على عدم البكاء على الشهداء لأن الله تعالى قد رفعهم إلى جواره مع الأنبياء والصدّيقين، وهذا ما يتجسد من خلال الزغردات التي تكون عند سماع نبأ استشهاد المجاهدين، كما يتم دفنهم بملابسهم دون تغسيل، مما يمثّل الفرح بمصيرهم في الدار الآخرة وتصبراً لأهاليهم، وكذلك تثمينا لفعالهم البطولي الشجاع مما يجعلهم يتميزون عن الآخرين، حيث تركوا الدنيا والأولاد والزوجات من أجل الجهاد ورفع الظلم عن الشعب واسترجاع الكرامة والإنسانية للجزائريين التي عمل الاستعمار على تحطيمها:

زغرتوا يا بنات الشّولي اللي مات فيك الرايس بن علال أنا
وتواصل قائلة:

لا تبكيوش على المجاهدين مشاؤ عند الله مرفوعين
ولدي خلالي زوج بنّات مشى يجاهد في الجبل ومات
كريمة وين خليت أبّاك راه امشّى يجاهد وخلاّك
الجهاد قليل من يديه صبروا زهية على بنّ علال
خلالي بنّة ووليد مشى يجاهد على الدّين¹²

ويتحوّل الشهيد إلى ملاك في الجنة، حيث يرتبط في المخيلة الشعبية بالطيور باعتبارها مخلوقات منحة، فالطير رمز للبراءة والانطلاق والحرية فتستعمل الأزوجة كلمة طويّر عبر صيغة التصغير للتعبير والتقريب:

مالك ما جيتش أولد أمّا راك طويّر في الجنّة



وترتبط صورة المجاهدين في المخيال الشعبي بالنور والضوء والإشراق والجمال، سواءً أكانوا أحياء أم أمواتا في قبورهم، فهم مصدر للنور وتحدد الحياة والأمل عبر القضاء على ظلام الاستعمار نحو فجر الحرية والاستقلال حيث تقول الأهزوجة :

الله يرحم الشهداء على دمهم لَقَحَّتْ الغابة
دم الشهيد راه دار التَّوَار يداوي المرضى والصبيان¹³
وتقول أهزوجة أخرى:

آه والغابة حنينة أدَّرَقَ المجاهدين آيا آيا
آه والوَرْدُ منوَرٌ فوق قبورهم آيا آيا
وأنوَّري نوَّري يا الغابة آنوَّري يا نوَّري
آنوَّري دَرَّقِي ذاك الوليد

آنوَّري الغابة نوَّري، آنوري درقي ذاك الشَّبَاب¹⁴

فارتبطت قدسية دم الشهيد بالخصوبة والتجدد والخلود في المخيلة الاجتماعية والاستمرارية، فالابن يخلف والده ويواصل المسيرة إلى النهاية بلا تراجع أو استسلام، بل وحتى الطبيعة – نفسها – تحزن على استشهاد الأبطال وتتأثر فتتوقف الشجرة عن الإزهار، حيث تقول إحدى الأهازيج في رثاء شهيد يدعى "الأزهري":

السَّجْرَةُ تبكي على الأزهري مَنْ ضَحَّى ما تنوَّرشِي¹⁵

وتحظى - بدورها - أم الشهيد البطل بكثير من الاحترام والتبجيل، وينالها نصيب محمود من تضحية ابن بطنها فيتم زرع الشجاعة في نفسها وتعويضها معنويا من أجل

تحمّل آلامها بالصبر والمستقبل الزاهر الذي سيحظى به ابنها الشهيد في عالم الخلود في الدنيا والآخرة :

تَسْتَاهِلِي قَصْرَيْنِ فِي الْجَنَّةِ آكَرْشُ اللَّيِّ جَابَتْ الشَّهْدَاءُ¹⁶

إنّ ابنها باستشهاده لم يعد ملكا لها فقط، بل أصبح ابناً للوطن و رمزا لجميع الجماعة التي بذل نفسه في سبيل المحافظة على قيمها وهويتها:

يا الخاوة من يجي عندكم ولدي

والله يثقل موازيني

هذا وحش المجاهدين والا مَرَضُ طَالُ

هاذو هُومًا المجاهدين أو عاهدو وما خَالَفُوا فِي الدِّينِ

لا اتَّسُولِي وَلَا تُقُولِي وَلَدِي هَذَا وَلَدَ الْوَطَنِ¹⁷

ويتم تبصير الأم ومنحها القوة المعنوية والنفسية لتحمل فراق ابنها الشهيد في أهزوجة أخرى وحثها على عدم البكاء، لأنّ البكاء لا يكون على الشهيد الذي بذل نفسه لله والوطن، وإنما على الخائن (القومي / الحزبي / البائع) الذي باع وطنه وأهله للأعداء مقابل متاع الدنيا الفانية :

مَا تَبْكِيْشُ يَا لَمِيْمَةَ مَا تَبْكِيْشُ عَلَى ابْنِكَ شَهِيدٌ

تَبْكِي مَرَّتَ الْقَوْمِي اللَّيِّ بَاغٌ دِينَهُ لِلرُّومِي¹⁸

ويتم القيام بمقارنة بين مصير العميل الخائن ومصير الشهداء، حيث لا ينال العميل إلا الحزّي والعار في الدنيا والآخرة معا، ويتم تصويره في أذل وأبشع الصور فهو في مرتبة الكلب، هذا الحيوان الذي ارتبط في ذهن الجماعة الشّعبية بالنجاسة والحقارة الانحطاط،

فلا تجوز الصلاة في مكان جلس فيه الكلب، ويغسل الوعاء الذي لعق منه سبع مرات قبل استعماله. يتساوى الحركي (العميل) مع الكلب في الأهزوجة :

الحركي مَالِكُ مَالِكُ الحركي والكلب في طَبْسِي كَلَاؤُ ¹⁹

وتقول في مقطوعة أخرى مخاطبة الحركي :

يا الحركي يا الغارق في الجبال هُما في الجنة وأنت في النَّارِ

يا القُومي يا العَارِقُ في الجبال بعثَ الجنةَ واشْرِيتُ النَّارَ ²⁰

لقد صوّرت الأهازيج النسوية مقاومة الجزائريين للمحتل الفرنسي كما تحدّثت عن الشهداء وبطولاتهم، فالمرأة الجزائرية كانت تشارك الرجل في الجهاد والمعارك التحريرية كما تساعده في الحقل والرعي... الخ، وبعضهن شاركن إلى جانب الرجل بالسلاح أيضا، لأن قضية الوطن هي قضية مشتركة. ولم تكتف بدعّمه بالأناشيد فقط لأن الهدف واحد تقول الأهزوجة الشعبية على لسان امرأة:

آخاوتي سَكْتُوْلي بنتي راني غادي نجاهد مانوليش

أنت جاهد وأنا نغّي حتى نتلاقوا في الحرية

يا الله نجاهدو ونحرّوها دزائر دارو الظلم عليها

أنتم جاهدو وأنا نجرّد والنهار التالي نديروا الحساب ²¹

فهناك رغبة ملّحة للالتحاق بالثوار والجهاد في سبيل تحرير الوطن حتى ولو كان ذلك على حساب ترك الأبناء وفلذات الكبد، فالمرأة اختارت الوطن على حساب ابنتها، ويمثّل هذا الاختيار قمة النبل والإيثار حيث ضحت بالمصالح الفردية (الأمومة) لصالح المصلحة الجماعية (الوطن والحرية)، فالجماعة فوق الفرد والوطن فوق الجميع. كما نلاحظ

أن هناك إدراك بقيمة الأهازيج النسوية أو الأغنيات في شحذ الهمم وتأريخ الأحداث للأجيال اللاحقة .

وتبرز أهزوجة أخرى تشوّق المرأة للجهاد وحمل السلاح :

يا فرنسا ما ابقى لك أحكام حطي السلاح وبايعي للسلام
أعطوني مترايا وسروال طويل ونمشي معاكم أصحاب الليل²²

ويتم تمثيل الاستعمار ورموزه عبر مجموعة من الصورة السلبية الساخرة، نذكر منها على سبيل المثال أبياتا تصف الرئيس الفرنسي "شارل ديغول" بشكل كاريكاتوري لأنه رمز استعماري غير جدير بالتقدير والاحترام:

يا اشنايفه ملاح للشمة أنا ديغول ماشي انتاع الهمة²³

بينما- في المقابل - تتجلى صورة البطل الشهيد "بن علال" بشكل مغاير تماما

حيث ترتبط بالشجاعة والإقدام، فيصبح نموذجا للإقتداء :

راه في المجرى رافد الديسيه شوّفو بن علال كي كوراخ
أديروا ما دار بن علاّل أحرّق القوّارم وعَاوَدُ البغَال²⁴

وتردد النسوة في أهزوجة أخرى عن الزعماء الثوار:

هكذا نبغي الزعما ايديروا قاع سلك الحدادة جابوه

هكذا نبغي الزعما ايديروا قاع سلك الحدادة قلعوه

شّهد يا مُول الكار شّهد والزعما هوّدو يحرقوه²⁵

وتصوّر في أشعار أخرى أهوال بعض المعارك التي جرت في المنطقة منها مثلا معركة

القادوس بتلمسان التي جرت في نوفمبر 1956، حيث استشهد فيها القائد بن علال

وهو في ربيع العمر (29 سنة) بعد مقاومة باسلة حيث تقول:

لوكان تشوفو نهار القادوس اللي حنينة قاع ما تسكتش
ريحة الجنة جاتي في الغابة ظنيت دهموها الزعما
آبويا هذا النهار يشيب هذا انهارك يا بن علال
يا أم بن علال غير صغير الجهاد قليل من يديه
يا أنا صبرو زهية على بن علال يا أنا لاتعيدو ولا تديرو حنة²⁶

لقد كانت هذه الأهازيج النسوية الشعبية وسيلة لرصد المشاعر والأوضاع السياسية والاجتماعية للجزائريين خلال أحداث الثورة التحريرية الكبرى، وتفاعل الشعب معها كما أدت جملة من الوظائف لعل من أبرزها :

✓ **وظيفة انفعالية تعبيرية:** حيث اتخذت النسوة الجزائريات الأهازيج وسيلة تبحن من خلالها عن عواطفهن ومعاناتهن وآلامهن وإسماع صوتهن وأفكارهن للآخرين، فكانت متنفسا مهما .

✓ **وظيفة مرجعية:** لقد نقلت لنا الأهازيج النسوية صورة عن المجتمع الذي كانت تتداول فيه بكل تلقائية وصدق. وكان للأهازيج النسوية - من جهة أخرى - أدوار اجتماعية وتاريخية مهمة بالإضافة - طبعا - إلى دورها التنفيسي والعاطفي حيث ساهمت في تشكيل الوعي الوطني من خلال:

أ- أنها سجّلت بعض الأحداث التاريخية المرتبطة بالثورة التحريرية : حيث تحدثت عن بعض المعارك والأحداث التاريخية، التي عرفتها الثورة الجزائرية المباركة على شكل أهازيج تتغنى بها، فساهمت بالتالي في حفظ تاريخ الوطن والذاكرة الثورية للأجيال اللاحقة .

ب- صوّرت الواقع الاجتماعي الذي كان يعيش فيه الفرد الجزائري في ظل الاحتلال الفرنسي والاحتجاج عليه، والكشف عن سلبياته، وفضح أوجه النقص في الجماعة مثل: الخيانة والتخاذل عن المقاومة والجهاد... الخ.

ج- التحريض على المقاومة والصمود مهما كانت التضحيات والعذابات. فكل شيء مهما كان غاليا أو نفيسا، يهون في سبيل الوطن والحرية .

د- تأكيد على القيم المتعلقة بالهوية الوطنية والثوابت التي لا تتزحزح: فرغم كل المحن التي قد يتعرض لها الفرد في سبيل الحفاظ على هويته وقيمه الوطنية، إلا أنه لا بد أن يكون شجاعا، وقويا صابرا مهما تكن الصعوبات أو الإغراءات الاستعمارية، فلا يبادل هويته وكرامته بكل كنوز الدنيا.

4. خاتمة :

إنّ المرأة الجزائرية أسهمت بشكل كبير وفعلّ في حفظ الكثير من التراث الشعبي الجزائري، حيث كانت محورا مهما وركيزة رئيسية في تداوله بين الأجيال المتلاحقة، واستمراره كتراث ثقافي وحضاري حاملا لقيم الجماعة التي تتداوله ومعبرا عن رؤيتها للحياة والكون وطبيعة نظمها الاجتماعية والأخلاقية والثقافية..... الخ. وبناء عليه يمكن الاستفادة من هذه الأهازيج النسوية في استخراج وتوثيق بعض المعطيات التاريخية المتعلقة بالثورة التحريرية الجزائرية، لاسيما وأن جزءا مهما من تاريخنا الثوري ما يزال يعاني الضياع بسبب انعدام الوثائق المكتوبة، فيمكن اعتماد هذه الأهازيج كوثيقة تاريخية، وفي الوقت نفسه وثيقة اجتماعية تعبر عن حياة المرأة الجزائرية ووضعتها الاجتماعية في هذه المرحلة المهمة من تاريخ الجزائر. وطبعا يجب ألا نتغافل عن الطابع الجمالي والفني الذي تميزت به الأهازيج النسوية، والذي أسهم في زيادة تلقّيها وتذوقها وخاصة نتيجة ارتباطها الوثيق

بالموسيقى والغناء مما سهّل عملية حفظها وتداولها بين الناس، ولكن وللأسف الشديد ما يزال الكثير من هذا التراث البالغ الأهمية عرضة للضياع والإهمال والتهميش حتى من طرف فئة المثقفين والدارسين الأكاديميين الذين لا يولون اهتماما بهذا الإرث الحضاري المهم لدواعٍ إيديولوجية لا علاقة لها على الإطلاق بالجانب الفني والجمالي الموضوعي.

لقد آن الأوان لنفض الغبار عن تراثنا الثقافي الشعبي – بمختلف أشكاله وصوره – دون حسابات إيديولوجية أو سياسية مسبقة لأنّ كل جزء منه يضيّع منا هو ضياع لجزء مهم من تاريخنا وحضارتنا وماضينا، والأمة التي لا ماضي لها لا حاضر ولا مستقبل لها.

5. الهوامش:

- ¹ - جلول يلس وأمقران الحفناوي ، المقاومة الجزائرية في الشعر الملحون، وزارة الثقافة، الجزائر 2007، ص5.
- ² - أحسن ثليلاني، الثورة الجزائرية في المسرح العربي، محافظة المهرجان الوطني للمسرح المحترف، وزارة الثقافة، الجزائر 2008، ص6.
- ³ - جبور عبد النور، المعجم الأدبي، دار العلم للملايين، ط2 بيروت ، 1984، ص41.
- ⁴ - المصدر نفسه، ص 286 .
- ⁵ - جلول يلس وأمقران الحفناوي ، المقاومة الجزائرية في الشعر الملحون، ص 7.
- ⁶ - ينظر: العربي دحو ، بعض النماذج الوطنية في الشعر الشعبي الأوراسي خلال الثورة التحريرية ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر 1986، ص21.
- ⁷ - عبد الحميد بورايو، الأدب الشعبي والمسألة الوطنية، مجلة التبيين، ع1، منشورات الجاحظية ، الجزائر1990، ص114.
- ⁸ - عبد الحميد بورايو، المرجع نفسه، ص114.
- ⁹ - عبد الحميد بورايو، نفسه، ص116.
- ¹⁰ - عبد الحميد بورايو، منطق السرد ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر 1994، ص97.

- 11- عمار يزلي، ثورة النّساء، أهازيج عن الثورة الجزائرية منشورات البيت للثقافة والفنون، الجزائر 2009، ص 146/145.
- 12- عمار يزلي، نفسه، ص 146.
- 13- عمار يزلي، نفسه، ص 104.
- 14- شقروني غوتي، الأغنية البدوية بين فترتي الثورة والاستقلال (1954-1962) منطقة وادي الشولي نموذجا، رسالة ماجستير، قسم الثقافة الشعبية، جامعة أبي بكر بلقايد ، تلمسان 2004/2005، الملحق الشعري، ص 367.
- 15- شقروني غوتي، المصدر نفسه، ص 161.
- 16- شقروني غوتي ، نفسه، ص 358.
- 17- نفسه، ص 366.
- 18- نفسه، ص 138.
- 19- نفسه، ص 377.
- 20- نفسه، ص 375.
- 21- عمار يزلي ، المرجع السابق، ص 146.
- 22- شقروني غوتي، المصدر السابق، ص 364.
- 23- شقروني غوتي ، المصدر السابق، ص 208.
- 24- شقروني غوتي ، نفسه، ص 369.
- 25- نفسه، ص 374.
- 26- نفسه، ص 356.

6. المراجع:

الكتب:

1. أحسن ثليلاني، الثورة الجزائرية في المسرح العربي، محافظة المهرجان الوطني للمسرح المحترف، وزارة الثقافة، الجزائر 2008
2. جوبر عبد النور، المعجم الأدبي، دار العلم للملايين، ط2 بيروت ، 1984
3. جلول يلس وأمقران الحفناوي ، المقاومة الجزائرية في الشعر الملحون، وزارة الثقافة الجزائرية، الجزائر 2007

4. عبد الحميد بورايو، منطق السرد ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر 1994
5. العربي دحو ، بعض النماذج الوطنية في الشعر الشعبي الأوراسي خلال الثورة التحريرية ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر 1986
6. . عمار يزلي، ثورة النساء، أهازيج عن الثورة الجزائرية منشورات البيت للثقافة والفنون، الجزائر 2009.

الرسائل الجامعية:

1. شقروني غوتي، الأغنية البدوية بين فترتي الثورة والاستقلال (1954- 1962) منطقة وادي الشولي نموذجاً (جمع ودراسة)، رسالة ماجستير (الملحق الشعري/ مخطوط) ، قسم الثقافة الشعبية، جامعة أبي بكر بلقايد ، تلمسان 2004/، 2005

المجلات:

1. عبد الحميد بورايو، الأدب الشعبي والمسألة الوطنية، مجلة التبيين، ع1، منشورات الجاحظية ، الجزائر 1990.